أحلامى الضائعة

أين أحلامى التى أبدعتُها ... من هوى نفسى، وأشواق فؤادى ؟
قد تهاوت كورود غضَّة ... ألقتِ الريح بها فى كل واد !
فإذا الدنيا — وكانت جنةً — ... أصبحتْ صحراء غرقى فى السواد
يا لها من محنةٍ قاسية ... أذهلتْ قلبى وألْوتْ برشادى !

أنظرى أحلامَ قلبى . . . إننى ... صرت أحيا بين آلامى وحيدا
فى ربيع العمر . . . فى فجر الصِّبا ... قد دفنتُ الأُنس فى قلبى وليدا
وأصاب العقمُ نفسى ! ويحها ... لا أراها تُبدع اليوم جديدا !
ليت شعرى ما بقائى ، وأنا ... لم أزل أحيا على الدنيا شريدا ؟

كيف أحيا بعد أن ضاعت سُدًى ... هذه الأحلام من عمرى الحزينِ ؟
إنها صورة دنياى التى ... تحلم النفس بها فى كل حين
صاغها الشوق ، وجلاَّها الهوى ... فإليها أبدَ الدهر حنينى
ليت شعرى كيف أرجو بعدها ... فرحةَ الباكى ، وآفاقَ السجين ؟

ربَّ ليل قد طوانى موجه ... مثلما يطوى مُنَى النفس الفناء
لم أجد لى عاصماً من أمره ... غير أحلامى بآفاق السماء

فتساميت إليها شاكياً ... وحشةَ الليل ، وأحزانَ المساء
فإذا دنيا كما شاء الهوى ... كلها نور ، وأنس ، وغناء

ونهارٍ ترتمى ضوضاؤه ... كغبار يرتمى فوق الزحامْ
لذْتُ منه بمكان مُفردٍ ... يتسامى عن ضلالات الأنام
فهفا قلبى إلى أحلامه ... وهْو للحب مشوق مستهام
فإذا دنيا كما شاء الهوى ... كلها صفو وأمن وسلام

أعْوِلى يا روحَ أيامى كما ... تعْوِلُ الريح ، وضجّى بالنحيبِ
وارفعى شكواك لله الذى ... جمَّل الدنيا بأحلام القلوب
غُلِبَ القلبُ على أحلامه ... فهْو يحيا فى ضلوعى كالغريب
كيف يحيا الجسم فى فجر الصِّبَا ... إذ يعيش القلب فى ليل المشيب ؟

آهِ كم يغلبنى الحزن ! وكم ... تستبدُّ الوحشة الكبرى بحسّى
حينما أمضى مع الناس سُدىً ... وإذا أبقى وحيداً مع نفسى !
ومقيماً بين أهلى ها هنا ... وغريباً بين آلامى ويأسى
ليتنى أجْرَعُ حزنى مرةً ... ثم ألقى فى مهاوى العمر كأسى

إيه أحلامى ! وداعاً ، وغداً ... نلتقى ... لكن متى؟... بعد الحصاد !
حين يبدو حقل عمرى مقفراً ... باردَ الأيْفاعِ ، مقرورَ الوهاد !
فتلفَّتُّ بقلب مُرْعَشٍ ... أبتغى دفئاً لروحى وفؤادى
وتراءيتِ رماداً دافئاً ... فتهاويتُ بقلبى فى الرماد !

وسألقاكَ إذا حان الردى ... فغدا يُحصر بالأنفاس عمرى !
وإذا النـاسَ — وأهلى فيهمو — ... أصبحوا - فى الموت - يُعْنَون بأمرى
ففريقٌ عند رأسى جازعٌ ... وفريق فى الثرى يَحفر قبرى !
وتراءيتِ خيالاً شاحبا ... فكأنى لا أرى إلا بفكرى
فهفا قلبىَ ، وامتدّتْ يدى ... علّها تُدنيك من خفّاق صدرى
ثم حالت بيننا أيدى الردى ... ثم ماذا ؟ لست أدرى ! لست أدرى !

ابراهيم محمد نجا